القسم الأول

التفكير فى عصر المعلومات..

ماهيته، أدواته، علميته، أخلاقياته

- تمهيد.
- عصر المعلومات.
- أدوات التفكير فى عصر المعلومات.
- علمية التفكير فى عصر المعلومات.. حتمية إنسانية ومطلب عالمى.
- أخلاقيات التفكير فى عصر المعلومات.. دستور ملزم فى كل زمان ومكان.

تمهيد :

فى عصر المعلومات، يظهر للعيان -أحيانا- أن الأفكار والآراء والرؤى حول العديد من المشكلات والمعضلات تبدو متلاقية ومتكاملة. وحقيقة الأمر، أن التلاقى والتكامل اللذين يظهران على السطح بالنسبة لكثير من الأمور، لم يتحققا بين ليلة وضحاها، وإنما مرا بفترات طويلة ومتعددة من الصراع المادى والجدل الإنسانى. فما يبدو هادئا، تحقق من خلال عواصف من الفكر، إلى أن استقر أمره، وتم قبوله.

ولكن، ما ندعى إنه قد استقر، ليس بنهاية المطاف، وإنما هو فى حقيقته بداية لسلسلة طويلة وشاقة من الفكر الإنسانى، الذى سوف تتناطح جوانبه المختلفة تحت السطح، ليظهر جديداً فى يوم ما.

وفى هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى أن الله سما الإنسان عن سائر الكائنات الحية، بعقله القادر على التفكير. ومن خلال هذا التفكير، يستطيع الإنسان استقراء أحداث الماضى، ورؤية حقيقة وهوية أحداث الحاضر، واستشراف الأحداث المتوقعة فى المستقبل، ولذلك يدرك الإنسان أن الثبات معناه العدم الذى قد يصل إلى حد الموت. وعليه، فإن الإنسان دائما وأبداً -على مر العصور- كان وما يزال يعلم يقينية التغيير وحقيقة التغير. ونتيجة لذلك، يؤمن الإنسان فى وقتنا الحالى بأن الأفكار والآراء التى نقرها اليوم، قد لا تتوافق مع أحداث الغد، ولا تناسبها، طالما أن مصدرها هو الإنسان نفسه.

ومن ناحية أخرى، يدرك الإنسان المفكر أنه رغم الكم الهائل من حجم المعرفة الذى بات فى متناول يده، فإن هذا الكم مجرد قطرة من الغيث المعلوماتى المتوقع سقوطه وانهماره بشدة فى السنوات القليلة القادمة. وعليه، يضع الإنسان المفكر فى حساباته الفيض المعلوماتى الغزير الذى سوف يتحقق فى الوقت القادم القريب.

والسؤال :

ما دلالة الحديث السابق؟

يدل الحديث السابق دلالة قاطعة بأن الأفكار والآراء والرؤى التى يموج بها عصر المعلومات جاءت لتحل محل نظيرتها السابقة التى حققها الإنسان فى أزمنة سابقة. وأيضا، من المتوقع أن تحل محل الأفكار والآراء والرؤى القائمة حاليًا نظريات مغايرة ومخالفة لها فى المستقبل، على أساس أن حقيقة التغير (وأحيانًا التغيير) هى الحقيقة الوحيدة الأساسية التى تحكم وتتحكم فى مجريات الأحداث، ولذلك لا توجد حقيقة قائمة سواها. ويمكن للإنسان أن يدرك آنيًا تداعيات وتجليات حقيقة التغير، من خلال تفكيره الصحيح، القادر

على: ربط الأسباب بمسبباتها، وتحليل الأحداث، والنظر إلى الأمور بموضوعية وعقلانية، وإمكانية تحقيق توقعات مستقبلية بدرجة كبيرة من الدقة، . . إلخ.

إذن، من المهم أن يمتلك الإنسان العقل القادر على التفكير، فيفهم الأحداث التى يموج بها عصر المعلومات، ويعرف أبعاد وماهية هذا العصر نفسه. إذا كان هذا ما يجب أن يدركه أى إنسان، فما بالنا بالمعلم والمتعلم فى عصر المعلومات.

يمكن الزعم بدرجة كبيرة من الثقة أن تنمية تفكير المعلمين والمتعلمين بات ضرورة تربوية فى عصر المعلومات، على أساس أن المعلمين يمثلون القادة الحقيقيين لتسيير أحوال التعليم ودفعه وتقدمه إلى الأمام، وعلى أساس أن المتعلمين يمثلون عدة المجتمع وآلياته لمواكبة العصر فى شتى المجالات. أيضا، يمكن الزعم بأن المجتمع تتفكك أوصاله وتنحل روابطه إذا افتقر كل من المعلم والمتعلم لمقومات التفكير الصحيح، وإذا لم يسيطرا تمامًا وبإحكام على أدوات التفكير فى عصر المعلومات، لأن: (١)علمية التفكير باتت حتمية إنسانية ومطلبًا عالميًا، (٢)أخلاقيات التفكير أصبحت دستوراً ملزمًا للإنسان فى كل زمان ومكان. كذلك، يمكن الزعم بأن المعلم الذى ينقل المعرفة، والمتعلم الذى يحفظ ما يمليه عليه المعلم، يعكسان صورة سيئة من التعليم النمطى، الذى لا يعتمد التفكير منهجًا. وفى هذه الحالة، يكونان من الأسباب المباشرة لجمود التعليم ووقوفه فى محله، دون تحركه قيد أنملة للأمام. أخيراً، يمكن الزعم بأن عدم العمل بجدية وإخلاص على تنمية تفكير المعلمين والمتعلمين، من خلال الخطط التربوية المناسبة، قد يؤدى إلى افتقار حجرات الدراسة للآليات التى تسهم فى تحقيق التفاعل الصفى، وبذلك يتحول التعليم إلى عملية رتيبة روتينية، وتفقد عملية التعلم رونقها وبهجتها، ويبدو الموقف التدريسى وكأن كل من المعلم والمتعلم يعمل بمعزل عن الآخر، أو كأنهما يسيران فى اتجاهين متضادين.

تأسيسًا على ما جاء فى الحديث السابق، باتت قضية تنمية تفكير المعلمين والمتعلمين فى عصر المعلومات قضية ضرورية وملحة وجوهرية، ولذلك يتمحور هدف هذا القسم حول تحقيق هذا الهدف الحيوى، من خلال دراسة رصينة وشاملة لموضوع: «التفكير فى عصر المعلومات. . ماهيته، أدواته، علميته، أخلاقياته»، وبذلك يقدم هذا القسم الآليات والأدوات التى يجب أن يمتلكها ويسيطر عليها الإنسان ليكون مفكراً متفاعلاً مع تجليات عصر المعلومات، ومواكبا -أيضًا- لمستحدثاته ومستجداته ومتغيراته.